مجلة العلوم الإنسانية
SUST Journal of Humanities
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

المستوى الصوتي في علم اللغ عند المحدثين والقدماء

أحلام علي بابكر عبود و محمد مهدي احمد
[1,2].جامعة النيلين – كلية التربية

المستخلص:

تناولت هذه الدراسة المستوى الصوتي وجهود علماء اللغة قديماً وحديثاً في معرفة الصوت ووضع اسس علمي الفونتيك والفونولوجيا وبيان مواقع الاتصال بينهما، ووظيفة كل واحد على حدة.

وأن الفونتيك هو علم الأصوات و الفنولولجيا هو علم وظائف الاصوات، الصوت اللغوي له دور مهم في ايضاح المعاني، عبر الاهتمام بالنطق الصحيح للكلمات ، وإن جهاز النطق تنظمه عدة أعضاء تحدد سمات الحروف الصوتية بدقه على أن هنالك فرق بين مفهومي الحرف والصوت, يشكل الحروف وحدة كتابية اساسية للنظام اللغوي ويشكل الصوت وحدة نطقية أساسية للبناء الصوتي العام للغة.

الكلمات المفتاحية: *الفونتيك ، الفونولوجيا ، الحرف.*

ABSTRACT :

The study discussed the volume level and the efforts of language scholars as a contemporary and in the past in signifying volume and establishing a scientific Phonate and Phonology and appointing the points of communications between them; and also the signify the function of each one separately.

The phonology is the scientific study of sounds and the phonate is the scientific study of the functions of sounds. The linguistic sound has an important role in what is related to meaning through the correct utterance to words. And the organs of utterance is organized by so many organs determine the accurate characteristics of sounds; but there is difference between the concept of the letter and sound. The melody form a writing main unit to the linguistic system, and the voice forms principle utterance unit for general voice for the language.

المقدمة:

يهدف هذا البحث إلى دراسة الجهد العربي قديماً في علم الصوت مقارنة مع الدراسات الحديثة ذات المصطلحات الحديثة مثل الفونيم وغيره.

فالصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل ان ندرك كنهها فالصوت الانسانس ينشأ من ذبذبات مصدرها عند الانسان الحنجرة ، فيحدث تلك الاهتزازات التي يعد صدورها من الفم تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل الاذن (انيس ، فريحة، 1981م، ص6).

عند تتبع الدراسات الصوتية نجد أن العالم اللغوي، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت: 17هـ) من خلال معجمه (لعين) الذي رتبه ترتيباً صوتياً فيه اراءه الصوتية، في مخارج الحروف وصفاتها ، من خلال مقدمته المؤجزة،

التي دلت على اصالة علمه وفطنته وذكائه وقد عدت هذه الدراسة، أول دراسة صوتية عربية، ذات منهجية تدل على دراية وقدرة في المجال الصوتي (مهدي المخزومي، 1958 م ، ص168).

ثم قام علماء اللغة بدراسة هذا الصوت واطلقوا عليه المصطلحات العلمية مثل الفونيم أي الوحدة الصوتية للغة، وتتمثل الفنيمات بحروف الهجاء (انيس فريحة، 1981م،ص36).

لقد كان لعلماء اللغة العربية القدماء جهوداً طيبة في مجال الاصوات ، إلا أن دراستهم للأصوات لم يخصص لها مجالاً خاصاً، إنما كانت ضمن دراسات أخرى، نحوية أو صرفية، أو بلاغية أو غيرها حتى جاء العالم ابن جني ابو الفتح عثمان ووضع لدراسة الاصوات مؤلفاً مستقلاً واصطح على دراسة الاصوات مصطلح (علم الاصوات).

علم الأصوات وفروعه:

تحديد للمفهوم:هو مصطلح لغوي معاصر ،وضع لمقابلة مصطلحات أجنبية ،كالمصطلح الانجليزي (phonetics) –والفرنسي (phonétique)–،والألماني (fontiks)– ،وهذه المصطلحات منقولة عن الكلمة اليونانية –(phonetikos) المؤلفة من الكلمة–(phone)وهي تعني صوتا ،واللاحقة (ikos) –وهي تفيد الفن أو العلم.

–وقد حدّد اللغويان : " ماريو باي "، و " فرنك غينور "علم الأصوات بأنّه : «علم دراسة الأصوات، وتحليلها،وتصنيفها ، متضمنا علم دراسة انتاجها ، وانتقالها، وإدراكها.(الدكتور / محمد صالح الضالع استاذ علوم الصوتيات بكلية الاداب جامعة الاسكندرية).

وبهذا يكون العالمان قد بينا ما ينبغي أن يقوم بهالأصواتي في دراسته للغة من تعرف على أصواتها ، والقيام بحصرها ، وتحديد أدق الفروق بينها ، كما حددا الجوانب الثلاثة التي يدرسها علم الأصوات ، وهي:

– إحداث الصوت.

– خروج الصوت من فم المتكلم ، واندفاع موجاته نحو أذن السامع .

–التقاط الأذن للصوت ،وفك إشاراته ورموزه.

ويختص بدراسة كل مرحلة من هذه المراحل فرع من فروع علم الأصوات.

مجالات علم الأصوات:

لقد أورد في هذا المنحى اللغويان" هارتمان"و "ستورك" تعريفين لعلم الأصوات بأنه: «دراسة عمليات الكلام متضمنة التشريح ،والأعصاب ، وأمراض الكلام ، وإدراكها ، وهو علم صرف لا يدرس في ضوء لغة معينة ، ولكنه ذو تطبيقات عملية كثيرة ، كما هو الحال في التدوين الصوتي ، تعليم اللغات ، وعلاج أمراض الكلام ، وبعض الأصواتيين يعتبرونه خارجا عن جوهر علم اللغة بالمعنى الدقيق ، ولكنّ معظمهم يعدونه من علم اللغة إذ المفاهيم اللغوية في علم الأصوات متضمنة في دراسة الأنظمة الصوتية للغات معينة وهي جانب من علم وظائف الأصوات.(كتاب "علم الاصوات" للدكتور / كمال بشر،2000 م،ص42).

فمن المجالات التي يرتكز عليها علم الأصوات نجد علم التشريح والأعصاب وعلم النفس وأمراض الكلام ، وغيرها من العلوم ، ويرتبط بعلم اللغة من حيث كونه يدرس المادة الأساسية للغة وهي دراسة النظام الصوتي

للغات ، وبالتالي يعدّ من هذا الجانب فرعا من فروع اللغة وهذا بحسب رأي اللغويين ،وهذا نهج أغلب الباحثين والهيئات والجامعات الأكاديمية في العالم .

موضوع علم الأصوات:

من حيث مادة وموضوع علم الأصوات نجد أنّه يعنى بدراسة الصوت اللغوي أي الصوت البشري ، باعتباره المادة الأساسية لبناء اللغة، وهي الأداة التي يحقق بها الإنسان وجوده اللغوي ونقل تراثه.

وعليه فموضوعه هو دراسة كيفية انتاج الأصوات مفردة مجردة ، بحيث يتولى النظر في الخصائص التي تميز كلا منها ، كما يعمل على إدراك الكيفية التي تنتقل بها الأصوات من المتكلم إلى السامع . كما أنّه يتصدى للتعرف على أحوال النجاح والإخفاق في عمليات الكلام ، جاهدا على سدّ الفجوة بين اللفظ المنطوق والشكل المرسوم ،ويبتغي في ذلك الوصول إلى أنجع الأساليب في تعليم اللغات ، مستندا في تحقيق نظرياته على الآلات والوسائل التجريبية(غانم قدوري الحمد 1424هـ ،2003م،ص65).

فروع علم الأصوات:

وبعد تطور العلم والتكنولوجيا الذي شهدته الانسانية وما زالت ، والذي مسّ كل جوانب الحياة، والعلوم تطورت نظرة العلماء للصوت الانساني واصبح يدرس تحت راية كبيرة تسمى (علم الاصوات) والذي يعرف على أنه العلم الذي يدرس العناصر الصوتية من حيث نطقها وانتقالها وادراكها.(محمد النونجي وراجي الاسمر، 2001م، ص422).

وتنطوي تحت هذه الراية عدة فروع لهذا العمل يدرس كل فروع الصوت الانساني من جانب من جوانبه ومنها علم الاصوات النطقي أو الفسيولوجي وهو أقدم علم الاصوات واكثرها حظاً في الانتشار في الدراسات اللغوية ، ويرجع السر في ذلك إلى وظيفة هذا الفرع، والى طبيعة الميدان المخصص له، فهو يدرس نشاط المتكلم بالنظر في اعضاء النطق ، وما يعرض لها من حركات، فيعين هذه الاعضاء ويحدد وظائفها ودور كل منها في عملية النطق، منتهياً إلى تحليل ميكانيكية اصدار الأصوات من جانب المتكلم. (بشر، كمال بشر، 2000م، ص46 – 47).

علم الاصوات النطقي هو ذلك الفرع من علم الاصوات الذي يهتم بدراسة حركات اعضاء النطق من أجل انتاج الصوات الكلام، أو الذي يعالج عملية انتاج الاصوات اللغوية وطريقة هذا الانتاج. (أحمد مختار عمر، 1418هـ، 1997م،ص98).

وقد جاءت الدراسات الصوتية القديمة مبنية على الجانب النطقي في دراس الاصوات، ونطقها مرة بعد اخرى، وتحديد نقاط النطق وتعيين حركات أعضاء النطق.

علم الاصوات اللاكوستكي أو الفيزيائي: وهذا الفرع من علم الاصوات حديث العهد نسبياً، وهو يمثل المرحلة الوسطي بين علم الاصوات النطقي وعلم الاصوات السمعي ويعرّف على أنه: العلم الذي يدرس الأصوات بعد نطقها من ناحية فيزيائية، ويعنى بحركة مصدر الصوت وسعة الذبذبة و الموجة الصوتية والرنين، أي من حيث انتقالها إلى الاذن وموجاتها و العوامل المؤثرة في ذلك.(التونجي محمد التونجي و راجي الاسمر،1419هـ،1999م، ص 423).

وقد ظهر علم الاصوات الفيزيائي نتيجة لتطور العلوم الطبيعية والفيزائية والتي افادت علم الأصوات بوسائل متطورة تساعد على دراسة الصوت فيزيائية، فتقوم بتحليل الذبذابات والموجات الصوتية المنتشرة في الهواء.

أما علم الاصوات السمعي: فهو أحدث فروع علم الاصوات على الاطلاق ويعرف على أنه : علم يعني بماهية ادراك الاصوات وبالعملية السمعية أي يدرس جهاز السمع.(التونجي محمد التونجي و راجي الاسمر 1419هـ،1999م، ص 423).

وعلم الاصوات السمعي ذو جانبين هما:

- جانب عضوي فيسيولوجي: ووظيفته النظر في الذبذبات الصوتية التي تستقبلها أذن السامع، وفي ميكانيكية الجهاز السمعي ووظائفه عند استقبال هذه الذبذبات.

- جانب نفسي: يركز جهوده على البحث في تأثير هذه الذبذبات ووقعها على أعضاء السمع الداخلية منها بوجه خاص، وفي عملية إدراك السامع للاصوات ، وكيفية هذا الإدراك . وهذه مرحلة نفسية خالصة ومبدئها الحقيقي هو علم النفس. (بشر، كمال بشر، 2000م ، ص42 – 43).

لقد شهد الدرس الصوتي تطوراً وتقدما مدهشاً بفضل الالات و الاجهزة المتطورة، حيث استطاع العلماء التوصل إلى حقائق صوتية جديدة لم تكن معروفة من قبل، اكتفوا ان مادة بحثهم، أي الصوت اللغوي له جوانب يقتضي كل جانب منها النظر إليه باسلوب يختلف عن الآخر. لذلك رأوا أن يوزعوا الدراسة الصوتية على فرعين هما:

الفونتيك ، الفنولوجيا أما الفونتيك : فهو ما يعرف عند اغلب العلماء بـ(علم الاصوات العام)أو (علم الاصوات اللغوية) وهو العلم الذي يدرس الاصوات اللغوية البسيطة كوحدات صوتية مجردة منعزلة عن السياق الصوتي التي ترد فيه فيقوم بدراسة الجهاز النطقي عند الانسان، ويسجل الحركات العضوية إلى يقوم بها هذا الجهاز اثناء النطق وكذلك الاثار السمعية المصاحبة لهذه الحركات (عاطف مدركور، 1987م، ص101).

والفونولوجيا: مصطلح له عدة ترجمات من بينها علم الاصوات اللغوية الوظيفي، وعلم الاصوات الوظيفي، وعلم الاصوات التنظيمي وعلم وظائف الاصوات الوظفي أو الوظائفي، وعلم الأصوات التركيبي (نور الهدى لوشن، 2000م، ص123).

ويسميه تمام حسان علم التشكيل الصوتي ورغم كثرة الترجمات لهذا المصطلح فإنها كلها تدور حول الوظيفة والتركيب فهي صالحة لتدل على هذا العلم، لأنه العلم الذي يبحث في وظائف اصوات اللسان البشري، ووظيفة الصوت لا تظهر إلا في التركيب أو التشكيل أو التنظيم في مجموعات صوتية ذات دلالة (تمام حسان ، 1407هـ، 1986م، ص139).

ويعرف هذا العلم على أنه : العلم الذي يبحث في وظائف أصوات اللسان البشري من ناحية القوانين التي تعمل بموجبها، والدور الذي تقوم به في عملية التواصل اللساني، فهو لا يهتم بالناحية النطقية او السمعية للأصوات بل يكرس اهتمامه لدراسة الفروقات من حيث عملها في فهم الرسالة اللغوية.(التونجي محمد التونجي و راجي الاسمر، 1419هـ،1999م، ص 431).

وتتدرج تحت هذا العلم قضايا صوتية هامة مثل الفونيم والمقطع والمظاهر السياقة كالنبر، والتنظيم والفواصل الصوتية، والتغيرات الصوتية كالمماثلة والمخالفة والاعرال والابدال والادغام والقلب المكاني، والتوافق الحركي

ويعود الفضل في ظهور علم الفونولوجيا إلى مدرسة براغ.(جيفري ساميسون، ط1431هـ، 1993م، ص106). والتي ذهبت إلى التميز بين أصوات اللغة من حيث وظيفتها أو دلالتها لأن اللغة لا تميز الصوت على أساس انتاجه فقط، بل على أساس تميزه عن الاصوات الاخرى أيضاً، ومن هنا فإن خصائص أي لغة تقوم على أساس التقابلات بين الاصوات التي تميزه عن أصوات اللغة الواحدة.(كريم ذكي حسام،1421هـ، 2001م، ص106).

ومن الملاحظ أن العلمين (الفونتيك) علم الاصوات العام و(الفونولوجيا) علم الاصوات التراكيبي مرتبطان أشد ارتباط فإذا كان علم الاصوات العام يقوم بجمع المادة الصوتية ووضعها على أساس عضوي أو فيزيائي ، فإن علم الاصوات التركيبي يقنن ويبحث عن قيم هذه الاصوات و وظائفها في اللغة، وبالتالي يمكننا القول بأن هذين العلمين يكمل احدهما الآخر، والتفريق بينهما لا يعدو ان يكون في منهج أو أسلوب الدراسة وخطواتها فقط.

هذا فيما يتعلق بالدرس الصوتي، أما إذا عدنا للدرس الصوتي عند القدماء وبحثنا عن جهودهم في هذا المجال، فنجد أن الدرس الصوتي قد لقى عناية كبيرة من طرف اللغويين و النحات والمعجمين علماء التجويد والقراءات القرائنة والبلاغيين و الفلاسفة إلا أنهم لم يعرضوا لدراسة الاصوات بصورة مستقلة – كما ذكرنا– وإنما تناولوها مختلطة بغيرها من البحوث الصرفية والنحوية واليلاغية وغيرها، ويمكن الإشارة إلى بعض جهود العلماء القدماء في النقاط التالية:

قام القدماء بتطوير الابجدية السامية التي اخذت عنها الابجدية العربية، إذ كانت الابجدية السامية مكونه من اثنين وعشرون حرفاً، فلاحظوا أن في العربية أصواتاً غير موجودة في الابجدية السامية وهي(التاء، والخاء، والذال والضاد، والظاء، والغين) فوضعوا لها رموزها المعروفة الآن.

وضع العرب ابجدية صوتية للغة العربية رتبت اصواتها بحسب مخارجها ابتداءمن اقصاها في الحلق وصولاً إلى الشفتين(نادية رمضان النجار ،دت، ص 37–47)..

توصل العرب إلى العناصر الثلاثة المؤثرة في عملية النطق وهي:

- وجود جسم في حالة ذبذبة.
- وجود وسط في ناقل لتذبذب.
- وجود مستقبل لتلك الذبذبات.

وكان هذا على الرغم من عدم توفر الاجهزة الحديثة لدى القدماء. التفت القدماء إلى جهاز النطق ولاسيما ابن جني، وعرفوا كل عضو وسموه باسمه: الرئتان، والحنجرة، والحلق والسان والشفتان، وتحدثوا عن مخارج الاصوات وصفاتها، وحركة الوترين أثناء النطق.

وضع العلماء القدماء العديد من المصطلحات التي لا تزال قائمة في الدرس الصوتي الحديث ومن ذلك(علم الاصوات، والهمس ، والجهر، والشدة، والرخاوة، والإطباق، والانفتاح...).

يعد ابن جنبي أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته في كتابه (سر صناعة الاعراب) (أحمد مختار عمر، 2003م، ص100).

كما ذكرنا يعد ابن جنى اول من أطلق على هذا الفن اسم علم الاصوات بقوله (... ولكن هذا القبيل من هذا العلم ، أعنى علم الاصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى بما فيه من صفة الاصوات والنغم). (ابن جني، ابو الفتح عثمان، 1421هـ، 2000م، ص22).

بما ان العلماء القدماء قد وضعوا العديد من المصطلحات والتي لا تزال قائمة في الدرس الصوتي الحديث، إلا أن هناك بعض المصطلحات قد برزت بصورة واضحة في الدرس الصوتي الحديث مثل مصطلح الفونيم. فهل لهذا المصطلح جذوره عند القدماء من أمثال ابن جني؟

إن الفونيم والمقطع من المصطلحات الاكثر شيوعاً وتداولاً في مجال الصوتيات التركيبية وتعد نظرية الفونيم من النظريات اللغوية التي حظيت باهتمام ودراسة كبيرة من قبل العلماء الذين انصبوا عليها لمعرفة قيمتها وجدواها في مجال الدراسات اللغوية، وقد ساعدهم التطور العلمي والتكنولوجي على ذلك بحيث وفر لهم الوسائل لاجراء دراسات تجريبية على الاصوات لمعرفة خصائصها مفردة ومركبة مع بعضها البعض.

اما المقطع فقد انكب العلماء على دراسته بعد ما تيقنوا من وجوده في الاحداث الكلامية، وأهميته في تقسيم الكلام المنطوق.

إن نظرية الفونيم مهما كان تفسيرها قد انبثقت من ملاحظة كيفيات النطق المختلفة ووظائف الاصوات المتنوعة، ومن محاولة وضع الالفائيات للغات المختلفة ولذلك رد بعضهم أولى التطورات لنظرية الفونيم إلى الزمن الذي اهتدى فيه الانسان إلى كتابة الالفبائية، والتي ترمز للاصوات التي تشكل الكلمات ، مثل الالفبائية السنسكريتية، الالفبائية الاغريقية(أحمد مختار عمر، 1418هـ، 1997م،ص 67).

أما في العصر الحديث فنظرية الفونيم تعود إلى الربع الاخير من القرن التاسع عشر، عند كل من الانجليزي هنري سويت و البولندي جان بودان الذي أعطى الفونيم مفهومه الدقيق دون ان يستخدم المصطلح وقد اوضح كل منها فكرة الفونيم في كتابه والكتابان صدرا لهما في فترتين متقاربتين دون ان يطلع أحدهما على كتاب الآخر فقد صدر كتاب بودان 1873م وصدر كتاب سويت عام 1877م.(حسام كريم ذكي حسام، 1421هـ – 2001م، ص 143).

ويشير احمد مختار عمر إلى أن أول من استخدم مصطلح الفونيم كان ديفريس ديسجت في اجتماع الجمعية اللغوية الفرنسية سنة 1873م ثم استعمله لويس هافيت ثم منه انتقل إلى فردناند دي سوير (أحمد مختار عمر، 1418هـ، 1997م،ص169). للفونيم تعريفات كثيرة ومختلفة منبثقة من توجهات العلماء ومناهجهم وتصوراتهم للغة والصوت ومن هذه الاتجاهات الاتجاه العقلي والاتجاه المادي والاتجاه الوظيفي والاتجاه التجريدي (حسام البهنساوي، 2005 ص163 –185) ولنأخذ تعريف الاتجاه العقلي عند ماريو باي يقول: إن الفونيم مجموعة او تجمع او ضرب يضم اصوات وثيقة الصلة (فونات) ينظر إليها المتكلمون على أنها تمثل وحدة واحدة بغض النظر عن تنوعاتها الموضوعية (ماريو باي ، 1419هـ ، 1998م، ص49) وعند انصار الاتجاه المادي منهم دانيال جونز الذي يعرف الفونيم بقوله(الفونيم عائلة من الاصوات في لغة معينة، متشابه الخصائص، ومستعمله بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة في نفس السياق اللغوي الذي يقع فيه الآخر)(حسام البهنساوي، 1423هـ/2003م ص159) أما تروبتسكوي من أنصار الاتجاه الوظيفي يحدد الفونيمات على انها وحدات تشكيلية لا يمكن تقسيمها من وجهة النظر اللغوية إلى عناصر متتابعة ويقول :

إنها علامات مميزة لا يمكن تعريفها إلا بالرجوع إلى وظيفتها في تركيب كل لغة على حدّها ويضيف أن الفونيم مجموعة الصفات التشكيلية ذات الصلة بالموضوع. (تمام حسان، 1407هـ، 1986م، ص162).

أما بلومفيلد له رؤية تروبتسكوي للفونيم ويعرف الفونيمات على أنها: الوحدات الصغرى من الصفات المميزة الأصوات وانها أصغر ما يحدث اختلافاً في المعنى من الوحدات ، وان فونيمات اللغة ليست اصواتاً ولكنها صفات في الاصوات ينتجها المتكلم بالتدريب، ويميزها في تيار الكلام الفعلي. (تمام حسان، 1407هـ، 1986م، ص162).

اما توارل من انصار الاتجاه التجريدي، يرى بأن : الفونيم ليس له وجود حقيقي لا من الناحية العضوية ولا من الناحية النفسية وانما هو وحدة خرافية تجريدية.(تمام حسان، 1407هـ، 1986م، ص162).

أما سمير شريف استيتيه فقد اضاف الاتجاه التكاملي في تعريف الفونيم الذي يقول فيه ان الفونيم وحدة صوتية ذات وجود ذهني، له تحقق على مستوى النطق والبناء، قابل للتوظيف الدلالي، أو الاشاري بنا يقتضيه النظر الاجتماعي في المحيط اللغوي الواحد. (سمير شريف اسيتية، 1429هـ ، 2008م، 178).

وخلاصة هذه الآراء التي حاولت تقديم تعريف الفونيم كل من وجهة نظره ومنهجه في البحث اللغوي، نتائج متماثلة تؤدي إلى اهداف عملية معينه. وتتلخص هذه النتائج والاهداف فيما يلي:

أ- الفونيم وحدة صوتية تميز كلمة من أخرى، أي تقوم بالتفريق بين الكلمات من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

ب- الفونيم وسيلة مهمة في تسهيل عملية تعليم اللغات الاجنبية، فالاصوات الفعلية المنطوقة في أي لغة كثيرة كثرة فائقة ، في حين ان فونيمات كل لغة تقل في عددها عن هذه الأصوات المنطوقة بالفعل، وبصورة ملحوظة,

ج- لفكرة الفونيم دور مهم في ابتكار الالفبائيات، أو نظم الكتابة بصورة ميسرة ودقيقة.(بشر، كمال بشر، 2000م، ص491).

إن الفونيم مصطلح سبق التعرف على معانيه ، وإن لم يتفق العلماء على تعريف جامع ودقيق له، إلا أننا سنقوم بالتمثيل له حتى نتعرف عليه اكثر، لدينا في اللغة العربية مثلاً: الفعل (قال) إذا أحللنا مكان القاف في هذا الفعل ميماً ولم يدخل أي تغير آخر على الكلمة لنحول إلى (مال)، وبذلك تغير المعنى, فالقاف إذن فونيم والميم فونيم آخر، لأنه أدى إلى تغيير المعنى، وقد يظهر الفونيم في العربية في شكل حركة فكلمة (عَلِّم) تختلف عن (عِلَّم) تختلف عن (عَلَم) فالفتحة فونيم والضمة فونيم والكسرة فونيم.(نور الهدى لوشن، 2000م، ص125).

إن فكرة الفونيم فكرة قديمة وقد ادركها العرب، مثل غيرهم من الامم الاخرى، وهذا حين ابتكارهم الالفبائية العربية رمزاً واحداً لكل فونيم مهماً تعددت صوره ، فللباء رمز واحد، وللتاء رمز واحد أيضاً، وهكذا. فالفونيم كفكرة كان موجوداً في الفكر العرب، لكنه لا يرقى لأن يكون نظرية واضحة المعالم.

أما مصطلح الفونيم فهو مصطلح غربي حديث في الدراسات السانية، ولاهميته في الدراسات الصوتية انتقل إلى الداسات العربية -كما سبق وذكرنا- ولما كان مصطلح الفويم من اكثر المصطلحات استعمالاً في الدرس الصوتي، كانت الحاجة إلى تعريبه وتوحي تعريبه اكبر من الحاجة إلى تعريب مصطلحات أخرى، إلا أن الباحثيت العرب لم يتفقوا على لفظ واحد للتعريب، فوجدت بذلك عدة ترجمات لهذا المصطلح منها: صوتهم

وصوت، وفونيمية، وصويتم، وصوت مجرد، وصوتية، ومستصوت، ولافظ. (أحمد مختار عمر، 1998م،ص13).

هذه الصيغ الكثيرة لم يكتب لواحدة منها الشيوع والانتشار، مما شجع على بقاء اللفظ الاجنبي (phoneme) بلفظه في اللغة العربية (فونيم).

وكثيراً ما تخلط علينا المصطلحات فهل الفونيم هو الحرف ؟ أم هو الصوت؟ أم أن لكلٍ واحد من هذه المصطلحات معنى خاصا بعيداً عن الآخر؟

وبما أن الفونيم قد سبق التعرف على معانيه. سنقوم في المساحة التالية بتعريف كلاً من الصوت. الصوت لغة هو الجرس (ابن منظور، ص401) وقد جاء في رسالة اسباب حدوث الحروف (الصوت سببه القيب نوذج الهواء دفعه بسرعة وبقوة من أي سبب كان (ابن سينا ، ص56). أما عند علماء اللغة العربية هو اثر سمعي يصدر عن اعضاء النطق غير محدد بمعنى معين في ذاته او في غيره (عبد العزيز الصيغ، 1998م، ص216) ويعرفه رمضان عبد التواب بقوله : الصوت هو ذلك الذي نسمعه ونحسه (رمضان عبد التواب ، 1417هـ، 1997م، ص84). أما الحرف فقد جاء في اللسان: الحرف في الاصل هو الطرف والجانب و ...حرفاً الرأس شقاه وحرفاً السفينة والجبل جانبها والجمع أحرف وحروف وحرفة. (ابن منظور، ج3، ص20)

اما مصطلح الاصلاح: الحرف هو رمز كتابي للصوت اللغوي، ولفظ يدل على الصوت اللغوي أيضاً، مثال حرف الراء بمعنى صوت الراء حرف الميم صوت الميم وهكذا. (عبد العزيز الصيغ، 1998م،ص217).

ويعرفه رمضان عبد التواب بقوله: الحرف هو ذلك الرمز الكتابي الذي يتخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معين أو مجموعة من الاصوات لا يؤدي تبادلها في الكلمة إلى اختلاف المعنى (رمضان عبد التواب، 1417هـ، 1997م، ص84). والفرق بين الصوت والحرف هو فرق ما بين العمل والنظر او بين المثال والباب، او بين احد المفردات والقسم الذي يقع فيه، فالصوت عملية نطقية تدخل في تجارب الحواس، وعلى الاخص حاستي السمع والبصر، ويؤديه الجهاز النطقي حركة، وتسمعه الأذن، وترى العين أما الحرف فهو مجموعة من الاصوات يجمعها نسب معين فهو فكرة عقلية لا عملية عضلية، وإذا كان الصوت مما يوجد المتكلم فإن الحرف مما يوجد الباحث(تمام حسان، 2000م، ص129).

والصوت جزء من تحليل الكلام، والحرف جزء من تحليل اللغة (تمام حسان، 1994م، ص74) لأن الكلام يخص فرداً يعنيه، وهو منطوق. اما اللغة فخاصة بمجموعة من الافراد، وهي مكتوبة. والمثال عن الحرف وأصواته نحو قولنا اللام حرف، واللام المفخمة في (والله)، واللام المرققة في (بالله) أصوات لحرف اللام.

إذن العلاقة بين الحرف والصوت هي مثل ما الفونيم والالفون فإذا كان الألوفون جزء من الفونيم، فإن الصوت جزء من الحرف. والحرف هو الفونيم يقول رمضان عبد التواب: وهذه النفرقة بين الصوت الحرف على هذا النحو نتوصل بها إلى جعل الحرف مساوياً للاصطلاح الغربي فونيم(رمضان عبد التواب ، 1417هـ، 1997م، ص84). ومثله تمام حسان إذ يقول به معنى الحرف. (تمام حسان ، 1407هـ، 1994م،158).

ويقول أيضاً عند الفراغ من الدراسة العلمية التي يقوم بها علم الاصوات نجد بين ايدينا عدداً من الاصوات يمكن عند استخدام ما بين بعضه البعض الآخر من روابط وعلاقات ان يقسم إلى عدد أقل من الوحدات

المجردة التي لا تنطق، لأنها أقسام لا اصوات، وهذه الاقسام هي التي تطلق عليها الدراسة اللغة الحديثة اصطلاح الحروف أو الفونيمات. (تمام حسان، 2000م، ص119)

ومما سبق نلحظ أن كل ما وجد من مصطلحات في علم الاصوات سواء كانت عند علماء الغرب، او عند علمائنا المحدثين، فهو ذو جذور متأصله في البحث اللغوي عند القدماء، فها هو ابن جني قد ادرك وفطن إلى أن تغيير الحروف يؤدي إلى تغير المعاني، وهو نوع من انواع الدلالة الصوتية، وبهذا قد ادرك ابن جني استقلالية الحروف اعتبره فونيماً أو وحدة صوتية مرتبطاً في ثباته، وتغيره في موقعه، بحيث يصلح ان يكون مقابلاً استبدالياً لآخر، فإذا تغير في موقعه من الكلمة وتبثث في المعنى.(عبد المجيد مجاهد، 2010م، ص 32).

ولقد تحدث عن الدلالة الصوتية المستمدة من استبدال حرف مكان حرف مع تغير المعنى بقوله فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الاحداث، فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون اصوات الحروف على سمت الاحداث المعبّر بها عنها، فيعدولونها بها ويحتذونها عليها. (ابن جني، دت، ص100).

النتائج:

1- ترى الدارسة أن الفونيتيك هو علم الأصوات، وأن الفنولوجيا هو علم وظائف الأصوات، وتعددت آراؤهم في الفرق بينهما، نظرا لاختلاف المبادئ التي ينطلقون منها.

2- بذل علماء اللغة جهودا جبارة في وضع أسس علمي الفونيتيك والفنولوجيا، وبيان مواقع الاتصال بينهما، ووظيفة كل واحد على حدة.

3- لقد برزت مدارس كبرى أسهمت بدراسات متنوعة وعميقة في علم الأصوات، وتكاملت خبراتها في بلورة تصور شمولي لقضايا الفونيتيك والفنولوجيا، مع تحديد وظائفهما.

4-تعد المدرسة التحويلية من المدارس الرائدة في دراسة الأصوات، والتي وظفت الفونيتيك والفنولوجيا توظيفا يتسم بالتكامل، ليتمكن من دراسة كل اللغات الإنسانية.

5- علم الأصوات له دور مهم في أيضاح المعاني، عبر الاهتمام بالنطق الصحيح للكلمات، ولهذا تبنى أصحاب المعاجم اللغوية مجموعة من الرموز الصوتية لتحقيق ذلك.

6- الصوت اللغوي متعدد الجوانب، ولهذا اهتم العلماء قديما وحديثا، بكل تلك الجوانب، وذلك لأجل إخراج دراسات متكاملة عن العملية النطقية وكيفية انتقالها إلى أذن السامع.

7-جهاز النطق تنتظمه عدة أعضاء، تتوزع داخلها مجموعة من المخارج التي تنبع منها حروف الهجاء، وبواسطة معرفة هذه المخارج تمكنا من تحديد سمات الحروف الصوتية بدقة.

المصادر والمراجع:

1-كتاب " الصوتيات والفونولوجيا" للاستاذ الدكتور / محمد صالح الضالع استاذ علوم الصوتيات بكلية الاداب جامعة الاسكندرية.

2- كتاب "علم الاصوات" للدكتور / كمال بشر، 2000م.

3- الدكتور /غانم قدوري الحمد – الدراسات الصوتية عند علماء التجويد – الطبعة الأولى – 1424هـ – دار عمار للنشر و التوزيع- الأردن-2003م

4- الشيخ الدكتور /فائز عبد القادر شيخ الزور – دروس في ترتيل القران الكريم – الطبعة التاسعة – مؤسسة علوم القران – الشارقة. 2001/1421

5-انيس ، ابراهيم انيس،الاصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، دط، دت.

6-المحذومي، مهدي المحذومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، 1958 م.

7-انيس فريحة، نظريات في اللغة، دار الكتاب البناني، بيروت، ط2، 1981م.

8- محمد النونجي وراجي الاسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1421،1هـ، ج2001،1م.

9-بشر، كمال بشر، علم الاصوات، دار غريب ، القاهرة، مصر، سنة 2000م.

10- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت الغوي، عالم الكتب ، القاهرة، مصر، 1418هـ، 1997م.

11- التونجي محمد التونجي و راجي الاسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة ، ج1، 1993م.

12- بشر، كمال بشر، علم الاصوات، دار غريب ، القاهرة، د ط ، دت ، 2000م.

13- مدكور، عاطف مدركور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة،دار الثقافة، القلهرة، د ط، 1987م.

14- لوشن، نور الهدى لوشن، مباحث في علم الاصوات ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية، الازاريطة، االسكندرية، دط، 2000م.

15- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء ، المغرب، ط، 1407هـ، 1986م.

16- جيفري ساميسون، المدارس اللغوية، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط1431هـ، 1993م.

17- كريم ذكي حسام، اصوات تراتية في اللسانات الحديثة، دار الرشاد، ط3، 1421هـ، 2001م.

18- نادية رمضان النجار، اللغة وانظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، دط،دت.

19- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، التأثير و التأثر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 2003م.

20- ابن جني، ابو الفتح عثمان، سر صناعة الاعراب، فتح محمد حسن اسماعيل واحمد رشدي شحاتة عامر، درا الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ، ج1، 2000م.

21- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت الغوي، عالم الكتب ، القاهرة، مصر، 1418هـ، 1997م.

22- حسام كريم ذكي حسام، أصول تراثية، دار الرشاد، ط3 ، 1421هـ – 2001م.

23- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت الغوي، عالم الكتب ، القاهرة، مصر، 1418هـ، 1997م.

24- حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب، مكتبة الزهراء شرق،القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ/2003م.

25- ماريو باي ، أسس علم اللغة، ترجمة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط8، 1419هـ ، 1998م.

26- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء ، المغرب، ط، 1407هـ، 1986م.
27- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء ، المغرب، ط، 1407هـ، 1986م.
28- سمير شريف اسيتية، اللسانيات الجال والوظيفة والمنهج، علم الكتب الحديث، ابرد ، الارن، ط2، 1429هـ، 2008م.
29- لوشن، نور الهدى لوشن، مباحث في علم الاصوات ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية، الازاريطة، االسكندرية، دط، 2000م.
30- أحمد مختار عمر، المصطلح الالسني، المجلد العشرون ، العدد 3، اكتوبر، ديسمبر 1998م.
31- ابن منظور، لسان العرب، مادة صوت، ج7.
32- عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق ، سوريا، دط، 1998م.
33- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1417هـ، 1997م.
34- ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص20، مادة ح . ر . ف.
35- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1417هـ، 1997م.
36- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوضعية، عالم الكتب، القاهرة ، مصر، ط4، 2000م.
37- عبد المجيد مجاهد، علم اللسان العربي، الشركة العربية المتحدة، القاهرة، دط، دت، 2010م
38- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1417هـ، 1997
39- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، علما الكتب القاهرة، مصر ، ط4، 2000م.
40- عبد المجيد مجاهد، علم اللسان العربي، الشركة العربية المتحدة، القاهرة، دط، دت، 2010م.
41- ابن جني، عثمان أبو الفتح، الخصائص ،تحقيق محمد علي النجار، مصر، دط، دت، ج2.